Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



الاستئناس. والقارئ الذي يقرأ السيرة الذاتية كذاكرة نصية منجزة بوسائل الاستعادة اللغوية والأدبية، غير معني بأي شكل من أشكال المطابقة، وإلا كان بحثه عن هذه ضربا من البحث التاريخي عن الوقائع التي تؤكد هذه الحقيقة أو تلك من الحقائق المفترضة المتداولة عن هذا الإسم العلم أو ذاك. إننا نملك في غالب الأحيان معرفة واقعية بمنجزات الإسم العلم (المختار السوسي) في حقول مختلفة، وتصلح هذه المعرفة الخارج نصية كمؤشر دال على القراءة المحايثة للنص السيرذاتي، ولكنها لا تفيد في مقاربة صدقه أو كذبه، خصوصا وأن الكتابة عن الأنا، كما يقول جورج گوسدورف، «تمثل الطريق المختار من طرف بعض الأفراد لاكتشاف والحفاظ على مبدإ هويتهم، من خلال البحث عن مصالح وقيم وجودهم»[1]

والواقع أن استراتيجية الذاكرة في التذكر تصبح، على هذا الأساس، طريقة في الكتابة السيرذاتية، وأسلوبا في تقديم المعطيات الدالة التي يؤثث بها المؤلف نصه، مع اختيار المسوغات المناسبة (التقديم والتأخير، الانتقاء،..) التي تمكنه من ذلك على الوجه الإخباري المناسب. هناك محو مفترض، ولكنه ليس خيانة أدبية، بل لحظة مبطنة بالشعور الآني الذي يستدعي الذكريات، فيختار منها (أو قد تتوالى عليه باختيارها الطوعي) ما يخدم المقصدية التي توخاها في الإبلاغ.

## سيرة الفقيه الوطني

إن قراءة السيرة الذاتية للمختار السوسي تطلعنا على المنحى السردي العام الذي اختاره للكتابة عن حياته. لقد كان المؤلف، عندما شرع في كتابة نصه هذا، في منفاه ب(إلغ) كما قدمنا، ولكنه كان قد حقق من الشهرة، بفضل الأعمال العلمية والوطنية الجليلة التي أنجزها، شيئا كثيرا، جعله مستهدفا من قبل الخصوم وسلطات الحماية. وإذا جاز أن نعتبر المنفى باعثا على الكتابة، فإن الكتابة عن الذات في المنفى القسري يمكن أن تُرى، من بعض النواحي، كطلب للعدالة المفقودة. وفي ثنايا هذا الطلب كان المختار السوسي يقيم الاعتبار لذاته، يقلب أحداثها، ويصوغ ذكرياتها. ولعله كان شاعرا بالأهمية التي يكتسيها التأريخ للحياة الفردية، تماما كما اشتغل، لوقت طويل، بالتأريخ للذوات السوسية الأخرى من العلماء والفقهاء وعامة المتأدبين، ذلك أن كتابة الحياة، أو الكتابة عن الحياة، تؤكد، في تعارض مع جميع البديهيات المفترضة، بأن الحياة الفردية تمثل كلا، وأن لها معنى خاصا بها، وأنها تسعى إلى التحقق في شكل عمل تام[2].

1- Auto-bio-graphie, op. cit. p. 232
2 - Ibid, p. 256.